

7

تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة في تعظيم النبي ﷺ

Ali Musri Semjan Putra¹

ملخص البحث

فلا يحق لكائن من كان أن يعظم النبي ﷺ بأمر من عنده لم يشرعه الله في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ. لقد كان من أكبر آثار الغلو في الرسول ﷺ ظهور البدع في العقائد والعبادات والتي أظهرها المبتدعة بدعوى حبه للرسول ﷺ فجعلوا المحبة مبرراً لهم في صنيعهم، كما حاولوا أن يلتمسوا لها من الشبه الباطلة ما يقوي بنيانها.

فيجب على المسلم أن يفرق بين المشروع وبين غيره في هذا الجانب وعدم

¹ Prodi Ilmu Hadits STDI Imam Syafi'i Jember, alimusri@yahoo.com.

التفرقة بينهما هو الذي أوقع المبتدعة في الغلو الذي ذمه الله ورسوله، وذلك كالاستغاثة به وطلب الحاجات منه ودعائه من دون الله واعتقاد أنه خلق من نور وأن الكون كله قد خلق من نوره، وأنه يتصرف في الأكوان، ويعلم الغيب مطلقا إلى غير ذلك من العقائد الباطلة، فكل هذا من الغلو الذي نهى الله عنه وفاعل هذا مضاد لتعظيمه ﷺ.

والمنهج السلوك في كتابة البحث هو المنهج الاستقرائي والاستنباطي من خلال النصوص الشرعية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ثم الاستفادة من أقوال العلماء في تفسيرها وشرحها.

وقد تنوعت ضروب البدع وتعددت، وكلما مضى الزمان ازدادت البدع حتى أصبحت عقيدة راسخة في النفوس، ومن هنا لا بد من وجود الجهود التي تكشف عن المنهج الصحيح في التعامل مع هذا الوضع الراهن، وخاصة المتعلمين من أبناء هذه الأمة لتقويم المفاهيم الخاطئة في تعظيم النبي ﷺ ورسالته بالحقائق العلمية والأساليب الصحيحة والوسائل الراجعة الناجحة.

مفاتيح الكلمات (keywords): المفاهيم، الغلاة، التعظيم، النبي ﷺ.

أ. المقدمة

١. خلفية البحث

إنّ مكانة النبي ﷺ عند الله عظيمة ومن ثم فقد أوجب الله على المسلمين أن يتأدّبوا معه ﷺ حيّاً وميِّتاً بأنواع من الآداب التي تليق بمكانته من توقير وتعظيم. إلا أن كثيراً من الأمور التي تفعل تعظيماً للنبي ﷺ مصدرها أدلّة واهية أو منامات أو استحسان بعض العلماء أو قياس مع الفارق أو تأويلات باطلّة أو أغراض دنيوية بحتة.

وقد انتشر كثير من البدع وخاصة في مجال التعظيم والتأدّب مع الرسول ﷺ بسبب سكوت أهل العلم عن إنكارها وبيان حقيقتها حتى انقلب الأمر رأساً على عقب وأصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً.

ومن هنا لا بد من وجود الجهود التي تكشف عن المنهج الصحيح في التعامل مع هذا الوضع الراهن، وخاصة المتعلمين من أبناء هذه الأمة لتقويم المفاهيم الخاطئة في تعظيم النبي ﷺ ورسالته بالحقائق العلمية والأساليب الصحيحة والوسائل الراجعة الناجحة.

فهذا بحث متواضع في تحقيق هذا الموضوع بعنوان "تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة في تعظيم النبي ﷺ".

٢. تحديد المسألة

أ- ما هي الأدلة التي تنهى عن الغلو في تعظيم النبي ﷺ؟

ب- ما هي نماذج وصور الغلو في تعظيم النبي ﷺ؟

٣. أهداف البحث

ومن أهداف هذا البحث:

أ- بيان الأدلة التي تنهى عن الغلو في تعظيم النبي ﷺ وأن ذلك مناف

للتعظيم الذي أمر به الشرع الحكيم.

ب- معرفة بعض النماذج والصور من الغلو في تعظيم النبي ﷺ وبيان بطلان

الحجج التي تمسك بها بعض الغلاة.

٤. منهج البحث

سار الباحث في إعداد هذا البحث على منهج الاستقراء والاستنتاج

والبحث المكتبي بمراجعة الكتب والرسائل العلمية المتعلقة بموضوع البحث.

ب. موضوع البحث

تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة في تعظيم النبي ﷺ

١. النهي عن الغلو في تعظيم النبي ﷺ.

الغلو في اللغة: هو مجاوزة الحد. وشرعاً: مجاوزة حدود ما شرع الله سواء كان ذلك التجاوز في جانب الاعتقاد أو القول أو العمل.

ولخطر الغلو في الأنبياء وخاصة نبينا محمد ﷺ فقد امتلأ القرآن ببيان بشريته ﷺ وعبوديته لخالقه سبحانه، فقال تعالى:

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ^(١).

وذكره سبحانه بصفة العبودية في عدة آيات فقال:

{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى^(٢)،

وقال:

{فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ^(٣).

وبين سبحانه أن الرسل لا يملكون شيئاً من خصائص الألوهية والربوبية

^١ سورة الكهف: ١١٠.

^٢ سورة الإسراء: ١.

^٣ سورة النجم: ١٠.

فقال سبحانه:

{قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ}{^(١)}.}

وقال تعالى:

{قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}{^(٢)}.}

وقال سبحانه:

{لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ}{^(٣)}.}

وبين سبحانه كفر من يرفع النبيين فوق مقامهم قال تعالى:

{وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ

^١ سورة الأنعام: ٥٠.

^٢ سورة الأعراف: ١٨٨.

^٣ سورة آل عمران: ١٢٨.

تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة في تعظيم النبي ﷺ

أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (١).

وقد نهى عز وجل عن الغلو فقال:

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ} (٢).

وقال:

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} (٣).

قال ابن القيم:

"ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق وإعطاؤه فوق منزلته حتى جعل فيه حظ من الإلهية وشبهوه بالله سبحانه وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم الذي أبطله الله سبحانه وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله" (٤).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:

١ سورة آل عمران: ٨٠.

٢ سورة النساء: ١٧١.

٣ سورة المائدة: ٧٧.

٤ "إغاثة اللفهان": ٢٢٦/٢.

"إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين"^(١).

وهذا التحذير من الغلو عام في جميع أنواع الغلو فيشمّل الاعتقادات والأعمال، والغلو أيضًا عام في أشياء كثيرة قد يكون في المدح، وقد يكون في الذم، وقد يكون في الفهم، وقد يكون في العلم، وقد يكون في العمل.

وقال النبي ﷺ في النهي عن الغلو في حقه ﷺ شخصيًا:

"لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله"^(٢).

ونسب الله الغلو إلى أهل الكتاب عامة ونسبه الرسول ﷺ إلى النصارى

^١ أحمد بن شعيب (٢١٥ - ٣٠٣هـ)، *سنن النسائي (المجتبى من السنن)*، ومعه شرح السيوطي وحاشية السندي، تحقيق: مكتب التراث الإسلامي، (الطبعة الأولى، بيروت: دار المعرفة، بدون سن): ج (٣٠٥٧).

وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ)، *سنن ابن ماجه*، ومعه حاشية السندي ومصباح الزجاجة للإمام البصري، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، (الطبعة الأولى بيروت: دار المعرفة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م): ج (٣٠٢٩).

وقال الشيخ الألباني: "صحيح". انظر: الألباني، محمد ناصر الدين، *صحيح سنن النسائي*، (الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م): (٣٥٦/٢).

^٢ محمد بن إسماعيل، *صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (الطبعة الأولى، القاهرة: المطبعة السلفية، ١٤٠٠هـ). (والطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م): ج (٣٢٦١).

خاصة ولعل السرّ في ذلك أن أكثر الغلو وقوعاً وشيوعاً وانتشاراً في هذه الأمة غلو النصارى، والله أعلم.

وقد أنكر الرسول ﷺ على من قال له ما شاء الله وشئت فقال له:

«أجعلتني والله عدلاً بل ما شاء الله وحده»^(١)

كما أنكر على معاذ ﷺ حينما همّ أن يسجد له^(٢) ومعاذ إنما قصد بذلك تعظيم النبي ﷺ، لكن النبي ﷺ أنكر عليه ذلك لأنه لا ينبغي السجود إلا لله وحده، فكل من عظم الرسول ﷺ، بما لم يشرعه فقد غلا فيه وإن ظن أنه بذلك معظّم.

ومن هذا الباب نهيه ﷺ عن اتخاذ قبره عيداً ومسجداً حتى لا تقع الأمة

في الشرك كما صحّ عنه قوله:

"لا تتخذوا قبري عيداً"^(٣).

^١ أحمد بن حنبل الشيباني، *المسند*، المحقق: الشيخ شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م: ح (١٨٣٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

^٢ أحمد بن حنبل الشيباني، *المسند*، ٣٨١/٤، ٢٢٧/٥-٢٢٨.

^٣ سليمان بن الأشعث السجستاني، "سنن أبي داود، تحقيق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، (الطبعة الأولى، بيروت: نشر دار ابن حزم. والرياض: ودار المغني ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م): ح (٢٠٤٤).

وقال الشيخ الألباني: "صحيح". (الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، (الطبعة

فحقق الرسول ﷺ لأمته التوحيد وسدّ كل الذرائع إلى الشرك وقطع أسبابه والتي من أعظمها الغلو فيه، لأجل هذا كان الغلو في الرسول ﷺ محرماً لأنه يفضي إلى الشرك والكفر، ولما يتضمنه هذا الغلو من القدح في مقام الألوهية وتفرد الله بصفات الربوبية.

ولأن فيه تنقيصاً للنبي ﷺ لأن كماله في عبوديته لربه كما يتضمن الكذب عليه لأن الرسول ﷺ ما دعا الخلق إلا إلى أفراد الخالق بالعبادة، ولم يدعهم إلى عبادة نفسه ووصفه بصفات الرب كما أنه لم يدع أنه من نور، أو أن له في الكون شيئاً من التدبير، أو أنه يعلم الغيب إلى غير ذلك مما يعتقده الغلاة فيه.

وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال:

انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال "السيد الله" فقلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً. فقال: "قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان". رواه أبو داود^(١).

الثانية، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م). ح: (٢٠٤٢).

١ أبو داود، سنن أبي داود، ح (٤٨٠٨) وقال الشيخ الألباني: صحيح (صحيح سنن أبي داود:

تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة في تعظيم النبي ﷺ

وعن أنس رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا خير البرية. فقال رسول

الله ﷺ

"ذاك إبراهيم"^(١).

فهؤلاء تكلموا بما تكلموا به بقصد تعظيم النبي صلى الله عليه وآله

وسلم ومع هذا لم يقبل منهم النبي صلى الله عليه وآله ذلك.

فيجب على المسلم أن يفرق بين المشروع وبين غيره في هذا الجانب وعدم

التفرقة بينهما هو الذي أوقع المبتدعة في الغلو الذي ذمه الله ورسوله وذلك

كالاستغاثة به وطلب الحاجات منه ودعائه من دون الله واعتقاد أنه خلق

من نور وأن الكون كله قد خلق من نوره، وأنه يتصرف في الأكوان، ويعلم

الغيب مطلقاً إلى غير ذلك من العقائد الباطلة، وابتداع أنواع كثيرة من

الصلوات عليه. فكل هذا من الغلو الذي نهى الله عنه وفاعل هذا مضاد

لتعظيمه ﷺ.

٣/١٨١.

^١ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،
بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون سنة. ح (٦٢٨٧).

وفي قوله ﷺ:

«أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزلني الله عز وجل»^(١)

دليل قاطع على كراهية الرسول للمدح بما سوى العبودية والرسالة وأخبر أن هذه هي منزلته الحقيقية التي أنزله الله إياها، وهذا مما يبين أن الغلاة قد سلكوا في غلوهم مسلكا لا يحبه الرسول ﷺ ولا يرضاه بل نهى عنه في مواقف كثيرة.

فلا يحق لكائن من كان أن يعظم النبي ﷺ بأمر من عنده لم يشرعه الله في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ. لقد كان من أكبر آثار الغلو في الرسول ﷺ ظهور البدع في العقائد والعبادات والتي أظهرها المبتدعة بدعوى حميم للرسول ﷺ فجعلوا المحبة مبرراً لهم في صنيعهم، كما حاولوا أن يلتمسوا لها من الشبه الباطلة ما يقوي بنيانها.

وقد تنوعت ضروب البدع وتعددت، وكلما مضى الزمان ازدادت البدع

^١ أخرجه الإمام أحمد (١٥٣/٣)، وقال الشيخ الألباني: "صحيح". (الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، (الرياض: مكتبة المعارف، بدون سنة): ح (١٠٩٧).

تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة في تعظيم النبي ﷺ

حتى أصبحت عقيدة راسخة في النفوس. وسأتحدث في المباحث التالية عن بعض صور الغلو ونماذج من تلك البدع، والله المستعان وعليه التكلان.

٢. اعتقاد بأن النبي ﷺ خلق من النور ولا ظل له.

من البدع التي اخترعها أقطاب التصوف ونشروها ودافعوا عنها وأصلوا لها في كتبهم وأشعارهم عقيدة النور المحمدي، وهو مصطلح لم يستقر فيه أقطاب التصوف على تعريف واضح محدد، بل قال كل واحد فيه بحسب ذوقه وما ورد على قلبه فيه.

يقولون: إن الرسول ﷺ خلق من نور، وأول ما خلق الله هو نور محمد ﷺ، وأن الدنيا بما فيها خلقت لأجل الرسول ﷺ، ولولاه لم تكن ولم تخلق ولم توجد.

يقول يوسف إسماعيل النبهاني عن فكرة النور المحمدي، وهو أحد

المنظرين لهذا الفكر، مبيناً معنى هذا المصطلح الغريب:

"اعلم أنه لما تعلق إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها... ثم انبجست منه ﷺ

عيون الأرواح فهو الجنس العالي على جميع الأجناس والأب الأكبر لجميع الموجودات"^(١).

معنى هذا أن الله سبحانه خلق محمدًا ﷺ من نوره، وأنه خلقه قبل آدم بل قبل خلق العوالم جميعًا، بل إن الأشياء جميعها خلقت من نوره ﷺ وهذه دعاوى باطلة لا دليل عليها لا من قرآن ولا من سنة وما احتج به قائلو هذه الكلام من أحاديث كلها موضوعة كحديث "كنت نبيًا ولا آدم ولا ماء ولا طين"^(٢) وحديث "إنه كان نورًا حول العرش فقال: يا جبريل أنا كنت ذلك النور"^(٣) وغيرها من الأحاديث الموضوعة والمنكرة سندًا وامتثًا، لجئوا إلى هذه الموضوعات مع أن هؤلاء يقولون بعدم حجية خبر الأحاد في العقيدة وان كان في "صحيح البخاري" أو "صحيح مسلم"!! وإذا بهم يدعمون بدعًا مخالفة للنصوص الثابتة مثل قوله سبحانه:

^١ النهاني، يوسف بن إسماعيل، الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون سنة)، ص: ٩.

^٢ الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، (الطبعة الأولى، الرياض: نشر مكتبة دار المعارف ١٤١٣هـ: ح (٣٠٣).

^٣ الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ٤٧٤/١.

تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة في تعظيم النبي ﷺ

{قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا} (١)

وقوله سبحانه:

{قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ} (٢).

فمن أنكر بشرية رسول الله ﷺ وجعله نوراً لا ظل له كنور الشمس والقمر والنجوم مثلاً فقد استخف برسول الله ﷺ في صورة التعظيم، وصار هذا المحب كالصديق الأحمق الذي يضر بصديقه لحماقته وبلادته، فهو أخس من العدو العاقل وأضر، فإن العدو العاقل يدعه عنك عقله والصديق الجاهل يريد نفعك فيضرك.

◇ زعم بعضهم أن الدنيا خلقت من أجل النبي ﷺ.

ويقول أحد هؤلاء تعبيراً عن هذه العقيدة:

"لولاه ما خلقت شمس ولا قمر... ولا نجوم ولا لوح ولا قلم" (٣).

١ سورة الإسراء: ٩٣.

٢ سورة الأحقاف: ٩.

٣ الشنقيطي، لمحمد أحمد عبد القادر المدني، تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من

وعندما يطالب هؤلاء بالدليل الصحيح الصريح الخالي عن المعارضة يحتجون بحديث موضوع وهو: "لولاك ما خلقت الأفلاك"^(١) فهل يصح هذا دليلا في دين الله، كيف يستدل بحديث مكذوب ويعارض قوله:

{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (٢)

لقد بين الله سبحانه في هذه الآية أنه ما خلق الجن والإنس جميعًا بما فهم رسوله ﷺ إلا لعبادته وحده. وهم انتحلوا هذا الضلال ليضيعوا معنى التوحيد ولا ندري كيف مررت هذه الخرافة على بعض المسلمين وكأنهم لم يقرؤوا تلك الآية ربما كان للجهم المطبق دوره الفعال.

قال الشيخ عبد العزيز ابن باز -رحمه الله- في إحدى أجوبته عن هذه المقولة الفاسدة:

"وأما ما يقوله بعض الناس، وبعض المخرفين، وبعض الصوفيين: إنه خلق من نور، أو إن أول شيء خلق هو نور محمد، فهذه كلها أخبار لا

حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق، (الطبعة الثانية، المدينة: مطابع الجامعة الإسلامية،

بدون سنة)، (ص: ٢٧) نقلا عن حقوق النبي ﷺ: ٢/٧١٤.

^١ الألباني، "السلسلة الضعيفة": ح (٢٨٢).

^٢ سورة الذاريات: ٥٦.

أصل لها، وكلها باطلة، وهي أخبار موضوعة لا أساس لها كما تقدم".

إن الدنيا خلقت من أجل محمد ولولا محمد ما خلقت الدنيا ولا خلق الناس وهذا باطل لا أصل له، وهذا كلام فاسد، فالله خلق الدنيا ليعرف ويعلم سبحانه وتعالى وليعبد جل وعلا، خلق الدنيا وخلق الخلق ليعرف بأسمائه وصفاته، وبقدرته وعلمه، وليعبد وحده لا شريك له ويطاع سبحانه وتعالى، لا من أجل محمد، ولا من أجل نوح، ولا موسى، ولا عيسى، ولا غيرهم من الأنبياء، بل خلق الله الخلق ليعبد وحده لا شريك له.

خلق الله الدنيا وسائر الخلق ليعبد ويعرف ويعظم، وليعلم أنه على كل شيء قدير، وأنه بكل شيء عليم، كما قال سبحانه وتعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}، بين أنه خلقهم ليعبدوه، لا من أجل محمد عليه الصلاة والسلام.

ومحمد من جملتهم خلق ليعبد ربه، كما قال له سبحانه:

{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} (١)،

^١ سورة الحجر: ٩٩.

وقال سبحانه وتعالى في سورة الطلاق:

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعَلِّمُوا أَنَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} (١)،

وقال سبحانه وتعالى:

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا} (٢).

فإن الله جل وعلا خلق الخلق ليعبد، خلقه بالحق ولحق ليعبد ويطاع ويعظم، وليعلم أنه على كل شيء قدير، وأنه العالم بكل شيء سبحانه وتعالى.

هذه الأشياء التي سمعتها باطلة لا أساس لها، لم يخلق الله الخلق، لا الجن، ولا الإنس، ولا السماء، ولا الأرض، ولا غير ذلك؛ لم يخلق ذلك من أجل محمد عليه الصلاة والسلام، ولا من أجل غيره من الرسل، وإنما خلق الخلق وخلق الدنيا ليعبد وحده لا شريك له، وليعرف بأسمائه وصفاته" (٣).

^١ سورة الطلاق: ١٢.

^٢ سورة ص: ٢٧.

^٣ ابن باز، عبد العزيز بن باز، فتاوى نور على الدرب، (الطبعة الأولى، رئاسة إدار البحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية، الرياض، السعودية، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ٩٦/١-١٠٠.

٣. اعتقاد بأنه ﷺ يرجع إلى الدنيا بعد وفاته ويحضر حفلة المولد.

ومما يعتقده الصوفية في هذا الباب إيمانهم بحياة النبي ﷺ بعد موته حياة تامة لها كل خصائص الأحياء، ولذلك قالوا بأنهم يرونه يقظة ويجتمعون به فيرشدهم في طريقتهم، وأنه يحضر حضراتهم التي يقيمونها والمولد التي يعملونها.

وعلى هذه البدعة أسست طرق صوفية كثيرة سميت بالطرق المحمدية لأنها كما يزعمون أخذت من الرسول ﷺ مباشرة في اليقظة وذلك كالطريقة التيجانية^(١) والطريقة الأحمدية الإدريسية^(٢) وغيرها من الطرق. كما بنوا عليها حضراتهم وموالدهم. إذ تزعم الصوفية أن الحضرة التي يقيمونها سميت بذلك لأن النبي ﷺ يحضرها إما بروحه وإما يقظة بجسده وروحه.

^١ التيجانية: نسبة إلى أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني المغربي، مؤسس الطريقة التيجانية، وطريقته منتشرة في المغرب، والسودان، ومصر، وغيرها. هلك عام (١٢٣٠هـ). (انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، (الطبعة الخامسة، بيروت: دار العلم للملايين، (١٩٨٠م): ٢٤٥/١).

^٢ نسبة إلى أحمد بن إدريس الحسني وكان صوفياً على دين ابن عربي، مؤسس طريقة الطريقة الأحمدية الإدريسية المنتشرة في المغرب والسودان وغيرها، هلك سنة ١٢٥٣هـ. (انظر: الأعلام: ٤٤/١).

ويزعمون أنه يخرج إلى الدنيا أثناء قراءة قصص المولد القيام الذي يكون في المولد يسمّى بـ(الفزة) ومرادهم منه القيام بسرعة، وذلك عند ورود ذكر ولادة النبي ﷺ وخروجه إلى الدنيا، ويسمّى عندهم أيضاً بـ(الحضرة)؛ لأنّ كثيراً منهم يزعم أنّ روح النبي ﷺ تحضر عندها، ويقولون: (حضر، حضر)، ويتركون النافذة مفتوحة لتدخل روح النبي ﷺ منها، فجمعوا بين البدعة وبين إساءة الأدب مع النبي ﷺ؛ إذ يجعلونه مخالفاً لما أمر الله به في كتابه قال تعالى:

{لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَا كِنَّ الْبِرِّ مَنْ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا} (١).

قال البرزنجي في "مولده" (ص ٧٧):

قد استحسّن القيام عند ذكر مولده الشريف أئمة ذوو رواية وروية فطوبى لمن كان تعظيمه غاية مرامه ومرامه).

مع أنّ النبي ﷺ نهي حال حياته عن القيام له ﷺ وكرهه من الصحابة، فكيف يقع استحبابه عليه في بدعة الاحتفال بمولده ﷺ. قال أنس بن مالك خادم

^١ سورة البقرة: ١٨٩.

((لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، قال: وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك))^(١).

يقول صاحب جواهر المعاني عن شيخه أحمد التيجاني:

قال ﷺ: أخبرني سيد الوجود يقظة لا مناماً. قال لي أنت من الأمنين، ومن رأك من الأمنين إن مات على الإيمان^(٢).

ويستدلون على ادعائهم رؤية النبي ﷺ يقظة بالحديث الذي رواه البخاري ومسلم بسنديهما عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من رأني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي»^(٣).
فزعموا أن الحديث صريح في رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا قبل الآخرة.

^١ الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون سنة)، ح (٢٧٥٤).

^٢ الدخيل الله، لعلي بن محمد، التيجانية، (الرياض: الناشر دار طيبة، بدون سنة)، ص ١٢٧، ونقله الفاسي، علي حرازم بن العربي، جواهر المعاني وبلوغ الأماني، (بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ١/١٢٩.

^٣ البخاري، صحيح البخاري، ح (٦٥٩٢).

وهذا الحديث لا يدل على ما ذهبوا إليه لأن الحديث يحتمل عدة معانٍ ولذلك
اختلف العلماء في معناه وحملوه على عدة محامل منها:

أ- أن المراد به من آمن به في حياته ولم يره - لكونه حينئذ غائباً عنه فيكون
بهذا مبشراً لكل من آمن به ولم يره، أنه لا بد أن يراه في اليقظة قبل موته
ﷺ إذا كان قد رآه في المنام.

ب- أو أن معناه أنه سيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها وخروجها على
الوجه الحق.

ج- وقيل إنه على التشبيه والتمثيل ويدل على ذلك الرواية الأخرى ولفظها: «
فكأنما رأني في اليقظة»^(١).

د- وقيل معناه أن يراه يقظة في الآخرة، وهذا بشارة لرأيه في النوم بأنه سيموت
مسلماً، لأنه لا يراه تلك الرؤيا الخاصة باعتبار القرب إلا من تحقق موته
على الإسلام. ومعنى ذلك أنها رؤية خاصة في الآخرة على سبيل القرب منه ﷺ
وهذا الوجه والذي قبله أقرب الوجوه إلى الصواب.

وأما استدلال بعض أهل البدع به على أن النبي ﷺ يُمكن أن يُرى في الدنيا فهذا

^١ مسلم، صحيح مسلم، ح (٦٠٥٧).

تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة في تعظيم النبي ﷺ

باطل من أوجه عدة منها:

أ- أنه مستحيل شرعاً لمعارضته النصوص. كقوله تعالى:

{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} (١)

وهو أيضاً مخالف لإجماع الأمة التي أجمعت على وفاته ﷺ. ولا يرد على ذلك أن الأنبياء أحياء في قبورهم، وما ورد عنه ﷺ من أنه ترد عليه روحه حتى يرد السلام على من سلم عليه. فإن هذه الحياة حياة برزخية تختلف عن الحياة الدنيا في خصائصها وصفاتها ولذلك يقتصر في شأنها على ما ورد في النصوص، ولا تقاس على الحياة الدنيا بأي حال من الأحوال.

ثم إن حمل هذا الحديث على رؤيته يقظة في الدنيا بعد وفاته يلزم منه ادعاء الكذب على رسول الله ﷺ وهذا مستحيل لأنه معصوم عن الكذب. وبيان ذلك: أن النبي - ﷺ - قال: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة» فعلق الجواب على الشرط، ومن المعلوم أن جمعا كثيرا من سلف الأمة وخلفها قد رأوه في المنام ولم يذكر أحد منهم أنه رآه في اليقظة. وخبر

١ سورة الزمر: ٣٠.

الصادق ﷺ لا يتخلف^(١).

ب- أنه مستحيل عقلا لأنه يلزم منه لوازم باطلة مثل أن يخرج ويراه الناس وأن يقود أمته في كل المواطن كما كان في حياته ﷺ وأن يجاهد في سبيل الله وأن يفصل بين الأمة في المسائل المتنازع عليها والحوادث التي وقعت لأمته من بعده طالما أنه حي حياة تامة.

إذ لو صح ذلك لكان حل النبي ﷺ لمشاكل أمته التي حدثت من بعده وجمع كلمتهم أولى من أن يظهر لأناس في مجالس بدعية جمعوا فيها من فنون الشرك والبدع ما نهي عنه وحذر منه.

فكيف يحضر مجالسهم التي بهذه الصفة ويترك الصحابة والأمة من بعدهم يواجهون الفتن بأنفسهم وهم أحوج ما يكونون إليه لو كان حيا.

قال الإمام القرطبي^(٢):

^١ العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ٣٨٥/١٢، و"التيجانية" (ص: ١٣٠) وما بعدها.

^٢ هو أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي المالكي ويعرف بابن المزين، وهو شيخ القرطبي المفسر. ومن تصانيفه: المفهم لما أشكل من شرح صحيح مسلم، واختصار صحيح

"وهذا القول يدرك فساده بأوائل العقول ويلزم عليه ألا يراه أحد إلا على صورته التي توفي عليها، ويلزم عليه ألا يراه رائيان في وقت واحد في مكانين ويلزم عليه أن يحيا الآن، ويخرج من قبره ويمشى في الناس ويخاطبهم ويخاطبونه، كحالته الأولى التي كان عليها، ويخلو قبره عنه وعن جسده، فلا يبقى فيه شيء فيزار غير جدث، ويسلم على غائب؛ لأنه يُرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره، وهذه جهالات لا يبوء بالتزام شيء منها من له أدنى مسكة من المعقول، وملتزم شيء من ذلك مختلٌ مخبول" (١).

ثم إن هذا الحديث لوصح دليلا على دعواهم لتطرقت إليه الاحتمالات السابقة والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، وأيضا فإن رؤية النبي ﷺ بعد موته في اليقظة هي من الأمور الاعتقادية التي لا تثبت إلا بدليل صحيح سالم من المعارضة. وهذا الدليل محتمل لوجوه متعددة ومعارض بنصوص

البخاري، وغيرها، المتوفى (٦٥٦هـ). (انظر: المقري، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ)، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: ١٩٦٨م؛ ٦١٥/٢، ابن فرحون، إبراهيم بن علي (ت ٧٩٩هـ)، "الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب"، القاهرة: محمد الأحمدى أبو النور، (١٣٥١هـ)، (ص: ٦٨-٧٠).

١ القرطبي، أحمد بن عمر (٦٥٦هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق محي الدين ديب مستو، يوسف علي بديوي وغيرهما، (الطبعة الثالثة، دمشق: طباعة دار ابن كثير، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ٢٣-٢٢/٦.

صريحة قطعية من القرآن والسنة تثبت موته ﷺ^(١).

قال ابن تيمية:

"والضلال من أهل القبلة يرون من يعظمونه: إما النبي ﷺ وإما غيره من الأنبياء يقظة، ويخاطبهم ويخاطبونه. وقد يستفتونه ويسألونه عن أحاديث فيجيبهم. ومنهم من يخيل إليه أن الحجرة قد انشقت وخرج منها النبي ﷺ وعانقه وصاحبه. ومنهم من يخيل إليه أنه رفع صوته بالسلام حتى وصل مسيرة أيام وإلى مكان بعيد.... وهذا موجود عند خلق كثير كما هو موجود عند النصارى والمشركين، لكن كثير من الناس يكذب بهذا، وكثير منهم إذا صدق به ظنه أنه من الآيات الإلهية، وأن الذي رأى ذلك رآه لصلاحه ودينه. ولم يعلم أنه من الشيطان، وأنه بحسب قلة علم الرجل يضلّه الشيطان"^(٢).

وقال الشيخ عبد الحي بن محمد اللكنوي -رحمه الله- في "الأثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة":

^١ انظر: *التيجانية* (ص: ١٣١).

^٢ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، *مجموع فتاوى*، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه، (المدينة المنورة: طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ٣٩٣-٣٩١/٢٧.

(ومنها -أي من القصص المختلفة الموضوعة- ما يذكرونه من أن النبي يحضر بنفسه في مجالس وعظ مولده عند ذكر مولده وبنوا عليه القيام عند ذكر المولد تعظيماً وإكراماً. وهذا أيضاً من الأباطيل لم يثبت ذلك بدليل، ومجرد الاحتمال والإمكان خارج عن حد البيان)^(١).

وقال الشيخ عبدالعزيز ابن باز-رحمه الله- في "حكم الاحتفال بالمولد النبوي"^(٢):

(بعضهم يظن أن رسول الله ﷺ يحضر المولد؛ ولهذا يقومون له محيين ومرحبين، وهذا من أعظم الباطل وأقبح الجهل، فإن الرسول ﷺ لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة، ولا يتصل بأحد من الناس، ولا يحضر اجتماعاتهم، بل هو مقيم في قبره إلى يوم القيامة، وروحه في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامة، كما قال الله تعالى في سورة المؤمنون^(٣): {ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ}، وقال النبي ﷺ: «أنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر. وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر»^(٤) عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام.

^١ ابن تيمية، مجموع فتاوى، (ص: ٤٦).

^٢ ابن تيمية، مجموع فتاوى، (ص: ٤٦).

^٣ آية: ١٥-١٦.

^٤ أبو داود: ح (٤٦٧٥) وابن ماجه: ح (٤٣٠٨) وقال الشيخ الألباني: صحيح.

قال ابن حزم في "مراتب الإجماع"^(١):

(واتفقوا أن محمداً عليه السلام وجميع أصحابه لا يرجعون إلى الدنيا إلا حين يبعثون مع جميع الناس).

إذا تبين لنا هذا علمنا أن ما تدعيه الصوفية من حياة النبي ﷺ ورؤيتهم له يقظة هو محض خرافة، يكذبها العقل والواقع والتاريخ وأن ما بنوه على أساس هذه الخرافة باطل، وأن هذا من تلاعب الشياطين بهم لأنهم ليسوا على الطريقة الشرعية في عقائدهم وعبادتهم، وإلا لو كان هذا صحيحاً لحصل لأفضل الخلق بعده ﷺ وهم صحابته، لكنهم لما كانوا على الصراط المستقيم لم تطمع الشياطين في إضلالهم بمثل هذه الخرافات والبدع^(٢).

٤. اعتقاد بأن النبي ﷺ يعلم الغيب.

^١ (ص: ١٧٦)

^٢ ولزيد من الفائدة انظر كتاب صادق، صادق سليم، المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، (الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة الرشد، ١٣١٥هـ/ ١٩٩٤م)، ص: ٤٠-٤٣. وكتاب لوح، محمد أحمد، تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، (الطبعة الأولى، الرياض: دار الهجرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ٢/٣٦-٥٢. وكتاب "خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء" تأليف الصادق بن محمد بن إبراهيم، وكتاب "رؤيا الرسول ﷺ يقظة ومناماً ضوابطها وشروطها" للشيخ الأمين الحاج محمد أحمد. ورضا، محمد رشيد، فتاوى، جمع وتحقيق د. صلاح الدين المنجد، (الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد، ١٣٩٠م: ١٨٤٥/٥)، وما بعدها.

تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة في تعظيم النبي ﷺ

تعتقد الرافضة والصوفية أن النبي ﷺ يعلم الغيب، وكتبهم تنضح وتفور بهذا الاعتقاد الباطل. وقد اجتهدوا في تلفيق الشبهات في الدفاع عنه ثم رتبوا على ذلك جواز سؤاله والاستغثة به، نسأل الله السلامة والعافية.

ومعلوم - من الدين بالضرورة - أن علم الغيب من خصائص الله وحده فلا يعلم الغيب أحد إلا الله، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عما هو دونهما. الغيب هو كل ما غاب عن العقول والأنظار من الأمور الحاضرة والماضية والمستقبلية، وقد استأثر الله عز وجل بعلمه واختص نفسه سبحانه بذلك.

قال الله تعالى:

{قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ^(١)، وقال تعالى: {لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ^(٢)، وقال تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى^(٣).

^١ سورة النمل: ٦٥.

^٢ سورة الكهف: ٢٦.

^٣ سورة الرعد: ٩.

والرسل عليهم الصلاة والسلام مع أنهم أفضل الخلق وأحبهم إلى الله عز وجل، وقد خصهم الله بمزايا كثيرة وأكرمهم بمعجزات عديدة لم يدع أحد منهم علم الغيب، بل جميعهم كانوا يتبرؤون من ذلك، ويردون علم الغيب إلى الله سبحانه وتعالى، فنوح عليه السلام قال لقومه:

{وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ} (١).

وقال تعالى عن هود عليه السلام:

{قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ} (٢)،

وأما الملائكة:

{قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} (٣).

ورسولنا محمد ﷺ وهو سيد الرسل والأنبياء أجمعين، ينفي عن نفسه معرفة الغيب، وقال تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام:

^١ سورة هود: ٣١.

^٢ سورة الأحقاف: ٢٣.

^٣ سورة البقرة: ٣١-٣٢.

{قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ}{^(١)،

وقال تعالى:

{قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ}{^(٢)،

وقال تعالى:

{قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ
لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ}{^(٣)،

وفي الحديث الصحيح عن النبي أنه قال يذاد رجال عن حوضي يوم القيامة
فأقول يا رب أصحابي أصحابي فيقال لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول
كما قال العبد الصالح

{وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ

^١ سورة الأحقاف: ٩.

^٢ سورة الأنعام: ٥٠.

^٣ سورة الأعراف: ١٨٨.

وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»^(١).

وعن مسروق قال:

«كنت متكئا عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، وذكرت منها: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ}»^(٢).

وفي الخبر أن جارية تغنت بقوله: «وفينا نبي يعلم ما في غد، فسمعها النبي ﷺ فقال لها:

«لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين»^(٣).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه في سؤال جبريل عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة أن النبي ﷺ قال له: «في خمس لا يعلمهن إلا الله، وتلا قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ}»^(٤) الآية.

^١ آية: ١١٧ من سورة المائدة، والحديث رواه البخاري: ح (٤٣٤٩) ومسلم: ح (٧٣٨٠).

^٢ آية: ٦٥ من النمل، والحديث رواه البخاري: ح (٤٥٧٤) ومسلم: ح (٤٥٧).

^٣ البخاري، صحيح البخاري، ح (٣٧٧٩).

^٤ آية: ٣٤ من سورة لقمان، والحديث رواه البخاري: ح (٤٤٩٩) ومسلم: ح (١٠٦).

تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة في تعظيم النبي ﷺ

فهذه الآيات والأحاديث ومثلها كثير جدًا وردت في الباب تدل على أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب مع أنه أفضل الخلق وسيد الرسل فغيره من باب أولى وهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يعلم من ذلك إلا ما علمه إياه سبحانه ولما خاض أهل الإفك في عائشة رضي الله عنها لم يجزم ببراءتها إلا بعد نزول الوحي، ولما ضاع عقدها في بعض أسفاره صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعث جماعة في طلبه ولم يعلم مكانه حتى أقاموا البعير فوجدوه تحته والأدلة من الكتاب والسنة في هذا كثيرة والحمد لله.

وبالرجوع إلى السنة الصحيحة والسيرة الثابتة يتضح أن النبي ﷺ لم يكن يعلم الغيب، ولم يكن يعلم من خلف الباب حينما يطرق للاستئذان للدخول عليه. بل إن الكلب دخل بيته، مما سبب منع دخول جبريل عليه السلام، وهو لا يدري عنه. وكانت تحدث بعض الأمور للصحابة لا يعلم عنها، مثل زواج عبدالرحمن بن عوف، وموت المرأة التي كانت تقم المسجد. إلى غير ذلك من الأحداث الكثيرة التي لا يسع المجال لذكرها. فإذا كان هذا في حياته ﷺ ، فكيف وهو في القبر ﷻ .

وعلى الرغم من هذه الأدلة القاطعة الواضحة، عن عدم علم الرسول ﷺ بالغيب، نجد من ينسب إلى الرسول ﷺ معرفة الغيب ويستدلون على ذلك بالاستثناء الوارد في قوله عز وجل:

{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} {إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ} (١)

وليس في ذلك حجة لأحد؛ لأن المراد بالغيب هنا ما يتعلق بالوحي خاصة.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-:

فإن بعض من لم يرسخ في الإيمان، كان يظن ذلك، حتى كان يرى أن صحة النبوة تستلزم اطلاع النبي ﷺ على جميع المغيبات، كما وقع في المغازي لابن إسحاق (٢): أن ناقة النبي ﷺ ضلت، فقال زيد بن لصيت (٣)

^١ سورة الجن: ٢٦-٢٧.

^٢ هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار القرشي المطلي مولاهم، العلامة الحافظ الأخباري صاحب السيرة النبوية، وقال الشافعي -رحمه الله-: من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق. توفي سنة ١٥٠هـ، وقيل: غير ذلك. (ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (١٦٨ - ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر، بدون سنة)، ٣٢١/٧، والذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، (٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، (الطبعة: الثالثة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ٣٣/٧).

^٣ زيد بن لصيت بصاد مهملة وآخره مثناة وزن عظيم، قال الذهبي في تاريخ الإسلام ص (٣٩)، (٤٠): وممن أظهر الإيمان من اليهود وناق بعد... وذكر منهم زيد بن لصيت. وذكره العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر الشافعي (ت ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار

يزعم محمد أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال النبي ﷺ: «إن رجلا يقول كذا وكذا، وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها وهي في شعب كذا، قد حبستها شجرة»، فذهبوا فجاءوه بها. فأعلم النبي ﷺ أنه لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله، وهو مطابق لقوله تعالى: {فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا} (٢٦) إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ{^(١).

إنه سبحانه قد يطلع بعض خلقه على بعض الأمور المغيبة عن طريق الوحي، كما ذكر في القرآن أن عيسى عليه السلام كان يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، كما في قوله تعالى:

{وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنِ

الجيل، الطبعة الأولى، بيروت: ١٤١٢هـ/١٩٩٢م: (٣٣/٤) من الصحابة من القسم الأول، وكذا ابن الأثر، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، (٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م): (٢٩٨/٢).

^١ فتح الباري (٣٦٤/١٣)، وأخرجها كاملة الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، المغازي، تحقيق د. مارسدن جونز، عالم الكتب، (الطبعة الثالثة، بيروت: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، (٤٢٣/٢-٤٢٥)، والطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، (الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٠٧هـ)، (١٠٥/٣، ١٠٦)، والبيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: د. عبد المعطي قلعي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، (٥٩/٤)، (٦٠)، و(٢٣٢، ٢٣١/٥).

كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ^(١)

وأن يوسف عليه السلام كان ينبئهم بتأويل الطعام قبل أن يأتي إليهم. والذي حدث لرسولنا صلى الله عليه وسلم منه الكثير، مثل ما مر علينا قبل قليل من خبر الناقة وغيره كل ذلك من باب المعجزات، فكما جاء في الآية السابقة على لسان عيسى عليه السلام نفسه {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} فالآية هي المعجزة. وهذا من الغيب النسبي الذي غاب علمه عن بعض المخلوقات دون بعض، أما الغيب المطلق فلا يعلمه إلا هو سبحانه، ومن ذا الذي يدعي علمه وقد استأثر الله به.

٥. القول بجواز التوسل بذات النبى صلى الله عليه وسلم وجاهه الشريف.

ومن البدع التي أحدثها الصوفية التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بذاته وجاهه أو الإقسام على الله به. ويدخلون في هذا التوسل الاستغاثة به وطلب الحاجات منه. وهذه البدعة أخذت شكلاً علمياً لدى الصوفية لكثرة ما كتب فيها من مؤلفات ورسائل. لكن جوهر الحقيقة هو أنهم يريدون أن يظهروا أمام الناس بمظهر المتمسك بأدلة الشرع، لذا نراهم يحرصون على جلب الأدلة وسوقها

^١ سورة آل عمران: ٤٩.

تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة في تعظيم النبي ﷺ

حتى يتسنى لهم إثبات مشروعية هذا النوع من التوسل بالنبي ﷺ ومن ثم يدخلون فيه كل ألوان الشرك كالاستغاثات والتضرع وطلب الحاجات وغير ذلك.

وتارةً يقولون: بجاه فلان عندك، أو يقولون: نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك أن تغفر لنا وترزقنا وتحفظنا إلى آخر ما يدعو به الصوفية في أيامهم، ومرادهم لأن فلاناً عندك ذوجاهة وشرف ومنزلة.

ثم إن لهم من وراء ذلك مقصداً آخر وهو أنهم يجوزون الشرك بالأولياء والصالحين تحت اسم التوسل بهم، طالما ثبت التوسل بالنبي ﷺ فلا مانع أن يتعدى ذلك إلى الأولياء من بعده. وإذا سألتهم عن الدافع إلى ذلك قالوا ما هو إلا محبة النبي ﷺ وأولياء الله الصالحين وتعظيمهم ومعرفة حقوقهم إلخ.

وقبل الكلام على التوسل المبتدع بالرسول ﷺ، أود أن أبين أن التوسل

بالنبي ﷺ ينقسم إلى قسمين:

أ- توسل مشروع.

ب- توسل غير مشروع.

أما التوسل المشروع: يقصد به التوسل بالإيمان برسول الله ﷺ وطاعته، والتوسل بدعائه ﷺ وشفاعته. فهذا النوع من التوسل إما أن يكون في حياته ﷺ في الدنيا، وإما في الآخرة لما يبعثه الله من قبره حياً. كما كان الصحابة يفعلونه في حياته ﷺ من طلب الدعاء منه، والاستغفار لهم، وطلب السقيا لهم. وما يكون في حياة الآخرة بطلب الخلق منه ﷺ أن يشفع لهم عند ربهم لفصل القضاء بين العباد. وأما بعد وفاته وقبل بعثه ﷺ فلا يجوز بحال من الأحوال، إذ ليس على ذلك دليل صحيح كما سيأتي بيانه.

وأما التوسل غير المشروع: يقصد به التوسل بذات النبي ﷺ، وسؤال الله بجاه نبيه، والإقسام على الله به. وهذا النوع غير مشروع لفقدان الدليل على مشروعيته، فلم ترد به سنة صحيحة ولم يكن الصحابة يفعلونه لا في حياته ﷺ ولا بعد موته، لا عند قبره ولا في أي مكان آخر. ولم ينقل ذلك عنهم بوجه صحيح يعتمد عليه عند أهل العلم. بل الثابت عنهم أنهم عدلوا عنه إلى غيره، كما فعل عمر مع العباس رضي الله عنهما.

وهذا التوسل غير المشروع هو مقصود غالب المتأخرين بالتوسل بالنبي

تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة في تعظيم النبي ﷺ

ﷺ، ويعتقدون أنه من أفضل القربات، وأنه دليل على حب النبي ﷺ والصالحين. وهو أول ما يعولون على إثباته والمنافحة عنه، والرد على مانعيه، والتشنيع عليهم، حتى يسلم لهم ما أرادوا من تعميم التوسل بالأنبياء والصالحين.

إن هذا التوسل ينقسم من حيث الحكم عليه إلى قسمين:

أ- توسل بدعي:

وذلك كالتوسل بذات النبي ﷺ، وبجاهه، أو الإقسام على الله به. وذلك كأن يقول القائل مثلاً: اللهم أتوسل إليك بنبيك، أو اللهم بجاه نبيك اغفر لي. وأما القسم فمثل قول القائل: اللهم بنبيك أو بحق نبيك اشفني أو اقض حوائجي.

ووجه كونه بدعة: أن الرسول ﷺ لم يأمر به، ولم يدع الناس إليه، ولم يعده من القربات، كما جعله المتأخرون من الصوفية ومن تابعهم من أعظم القربات. كما أن الصحابة لم يتوسلوا إلى الله بهذا النوع من التوسل ولا التابعين ولا تابعهم... بل الثابت عنهم هو عدولهم عنه إلى التوسل المشروع، فلما لم يرد له ذكر في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، ولا عمل الصحابة والتابعين به. دل على

عدم مشروعيته وابتداعه.

هذا من حيث الإجمال. أما من حيث التفصيل، فإن السؤال بالنبي ﷺ والتوسل بذاته وجاهه غير جائز. لأنه وإن كان مبنياً على أن للأنبياء جاهاً ومكانة عند الله- وهذا صحيح- إلا أن الله لم يجعل ذلك الجاه سبباً مناسباً لإجابة دعاء من توسل به. وإنما جعل الله الإيمان بهم وحبهم واتباعهم سبباً لإجابة الدعاء، بخلاف السؤال والتوسل بذواتهم وجاههم.

وأما القسم على الله بالرسول ﷺ أو بحقه فهذا مما لا يجوز شرعاً. لأنه قسم بالمخلوق على الخالق سبحانه وتعالى.

والقسم على المخلوق بمخلوق مثله لا يجوز. فكيف يجوز ذلك في حق الخالق سبحانه^(١).

وإذا تبين هذا فلا يجوز التوسل بذات النبي ﷺ أو بجاهه أو بالإقسام على الله به لما يفضي إليه القول بجوازه من الغلو الذي نها الله ورسوله عنه،

^١ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، قاعدة جلیلة فی التوسل والوسیلة، بتحقیق د/ ربیع بن هادی عمیر المدخلی، (الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة لينة للنشر والتوزيع ١٤٠٩هـ)، (ص: ١٠٩-١١٠).

تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة في تعظيم النبي ﷺ

وسدًا لذريعة الشرك المترتب عليه. ذلك أن عامة من جوزوه لم يقفوا عند التوسل به ﷺ بل تعدوا ذلك إلى الاستغاثة به وطلبوا منه ما لا يجوز طلبه إلا من الله إلى غير ذلك من الأمور التي تؤدي إلى الشرك. ويسمون كل هذا توسلا!! ومما ينبغي التنبيه إليه أننا حين نوضح بطلان هذا النوع من التوسل لا يعني أننا ننفي الجاه والمكانة السامية لرسول الله ﷺ. كلا. إن جاهه عليه الصلاة والسلام أعظم من جاه الأنبياء والمرسلين، وحديث الشفاعة يبين هذا ويوضحه^(١).

ب- التوسل الشركي:

وذلك كطلب الحاجات منه ﷺ ودعائه لكشف الضر أو رفع الشدة وبث الشكوى إليه، إلى غير ذلك من ألوان الشرك الذي حرمه الله ورسوله. وكون هذا النوع شركا أمر واضح، فإنه لو طلب من الرسول ﷺ في حياته ما لا يقدر عليه إلا الله لكان هذا شركاً، فكيف وهم يطلبون منه ذلك بعد موته، وينشدون في ذلك الأشعار ويسوقون الحكايات والأخبار، وينعتون كل موحد بالجفاء للنبي

^١ انظر: صحيح البخاري: ح (٧٠٠٢) وصحيح مسلم: ح (٤٩٥).

ﷺ وآله الأخيار. وتسمية هذا النوع بالتوسل هو من باب الإيهام والخداع فإنه لا يسمى إلا شركاً أكبر.

فإن المانعين للتوسل لا يمنعون مطلق التعظيم ولا يحكمون على فاعله بالكفر والإشراك، إنما يمنعون التعظيم الذي يتضمن عبادة غير الله أو نبي الله عنه ورسوله، أو التعظيم المحدث الذي لا يدل عليه دليل من الكتاب والسنة، وإنما يحكمون بالكفر والشرك على من عظم تعظيماً يتضمن شيئاً من موجبات الكفر والشرك، وأما التعظيم الذي هو ثابت بالكتاب والسنة فهو عين الإيمان.

والصوفية يوردون شبهات كثيرة متنوعة على جواز التوسل بالنبي ﷺ توسلاً بدعياً وشركياً ليوهموا أتباعهم أنهم بذلك على الحق وأنهم أحب إلى رسول الله ﷺ وأقرب من غيرهم، ولكن المقام لا يسمح لعرضها ومناقشتها^(١).

وأكثر ما يستدلون به الحكايات والمنامات والأحاديث الموضوعية والآثار

^١ فليراجع الكتب التي ألفها العلماء في هذا الموضوع، وهي كثيرة متداولة، وعلى سبيل المثال كتاب "الرد على البكري" لابن تيمية. وابن عبد الهادي، محمد بن أحمد (٧٤٤هـ)، الصارم المنكي في الرد على السيكي، (مصر: طباعة الإمام، بدون سنة).. وآل الشيخ، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، هذه مفاهيمنا، (الطبعة الثانية، الرياض: إدارة المساجد والمشايخ الخيرية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة في تعظيم النبي ﷺ

الواهية لا تصلح للاحتجاج بها وهي غالب اعتمادهم. وأما الآيات القرآنية^(١) والأحاديث الصحيحة^(٢) فهي لا تدل على ما ذهبوا إليه من جواز التوسل بذات النبي ﷺ بعد موته.

٦. القول بجواز دعاء النبي ﷺ والاستغاثة به.

إن من الغلو الباطل في حق النبي ﷺ دعاؤه والاستغاثة به من دون الله وذلك كطلب الحاجات منه ﷺ ودعائه لكشف الضر أو رفع الشدة وبث الشكوى إليه، إلى غير ذلك من ألوان الشرك الذي حرمه الله ورسوله. وهو لا يقل قداحة عن أولئك الذين يتنقصون من قدره ﷺ. ولكن الرافضة والصوفية يسمونها توسلاً، وتسمية هذا النوع بالتوسل هو من باب الإيهام والخداع فإنه لا يسمى إلا شركاً أكبر.

^١ كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ} [المائدة/٣٥] وقوله تعالى: {وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ} [الإسراء/٥٧].

^٢ كحديث توسل عمر بن الخطاب بالعباس رضي الله عنهما في البخاري: ح (٣٥٠٧)، وقصة توسل الرجل الضرير بالنبي ﷺ الذي رواه أحمد في المسند: ح (١٧٢٧٩)، وابن ماجه: ح (١٣٨٥)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ح (١٩٣٠)، إذ هذا وذاك توسلٌ بدعائه في حياته ﷺ.

وفي المولد الذي ألفه ابن حجر الهيتمي من الشرك قوله:

"ولا غاية لاستيعابه - أي خصائصه ﷺ - وسيرة سيدنا ومولانا وذخرنا
وملاذنا وملجئنا وممدنا ومنقذنا ومكملنا وناصحنا"^(١)،

فإذا كان ﷺ هو الملاذ والملجأ فأين الله؟!

ويقول آخر:

"إن مفاتيح الكون كلها في يد رسول الله ﷺ وهو مالك الكل وإنه النائب
الأكبر للقادر وهو الذي يملك كلمة كن"^(٢).

وقال أيضاً:

"إن رسول الله ﷺ هو المُبرئ من السقم والآلام والكاشف عن الأمة كل
خطب، وهو المحيي وهو الدافع للمعضلات والنافع للخلق والرافع
للمرتب وهو الحافظ والناصر وهو دافع البلاء وهو الذي برد على الخليل
النار وهو الذي يهب ويعطي وحكمه نافذ وأمره جار في الكونين"^(٣) فماذا
أبقى لله؟!!!

^١ انظر: "مولد النبي ﷺ" لابن حجر الهيتمي (ص: ٣٣).

^٢ انظر: "الاستمداد على أجيال الارتداد" للبريلوي (ص: ٣٢).

^٣ انظر: المرجع السابق (ص: ٣٥٢).

تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة في تعظيم النبي ﷺ

والأمثلة على هذا كثيرة في كلامهم منها قول أحدهم:

يا ملاذي يا منجدي يا منائي
يا معاذي يا مقصدي يا
رجائي

يا نصير يا عمدتي يا مجيري
يا خفيري يا عدتي يا شفائي
أدرك أدرك أغث أغث يا شفيعي
عند ربي واعطف وجد
بالرضاء

أنت غوثي وملجئي وغيائي
وجلا كربتتي وأنت غنائي^(١).

وقال آخر:

يا رسول الله إني ضعيف
فاشفني أنت مقعد
للشفاء^(٢).

وقال ثالث:

سيدي أبا البتول أغثني
أنت أدرى بما حواه

^١ النبهاني، النبهاني الصوفي "شواهد الحق"، الطبعة الثانية، مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، سنة ١٣٨٥هـ: (ص: ٣٥٥) ونقله الهندي، بكر محمد زكريا الهندي، الشرك بين القديم والحديث، (الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ٨٩٣/٢.
^٢ الهندي، الشرك بين القديم والحديث، (ص: ٣٥٢).

الضمير^(١)!!!

ويقول صاحب البردة:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث

العمم^(٢)

فانظر إلى هذه المعارضة العظيمة للكتاب والسنة ، والمحادة لله ورسوله. وهذا الذي يقوله هذا الشاعر هو الذي في نفوس كثير، خصوصاً ممن يدعي العلم والمعرفة، ورأوا قراءة هذه المنظومة ونحوها لذلك وتعظيمها من القريبات، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

إن المقالات الشركية التي تنحو هذا المنحى كثيرة^(٣) وهي من مخلفات عصور الانحطاط، مع أن القرآن قد ردّ هذه المزاعم، ونورد هنا بعض الآيات

^١ الهندي، *الشرك بين القديم والحديث*، (ص: ٣٦٢).

^٢ انظر البوصيري، محمد بن سعيد بن حماد، "ديوان البوصيري" بتحقيق سيد كيلاني، (القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٩٩٣م)، (ص: ٢٤٨).

^٣ انظر بيان الكثير من هذه الشركيات في كتاب "الشرك بين القديم والحديث": ٨٩٣/٢ وما

بعدها.

تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة في تعظيم النبي ﷺ

التي تبين بطلان ما يعتقده هؤلاء :

لقد بين الله سبحانه في القرآن الكريم أنه هو الذي ينجي من كل كرب

فقال:

{قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ} (١). وأن النعم كلها منه سبحانه فقال: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَازُونَ} (٢).

أ- وأنه هو كاشف الضر فقال:

{وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (٣).

ب- وأن كل ما سوى الله لا يملك مثقال ذرة فقال:

{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنِ ظَاهِرٌ} (٤).

١ سورة الأنعام: ٦٤.

٢ سورة النحل: ٥٣.

٣ سورة الأنعام: ١٧.

٤ سورة سبأ: ٢٢.

ج- وأمر نبيه أن يبين أن الإضرار والإرشاد بيد الله وحده

قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ
وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتَعَدًّا^(١)

والمعنى كما يقول ابن كثير:

"أي إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ وعبد من عباد الله ليس إليّ من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم بل المرجع في ذلك كله إلى الله عز وجل ثم أخبر عن نفسه أيضاً أنه لا يجيره من الله أحد أي لوعصيته فإنه لا يقدر أحد على إنقاذه من عذابه"^(٢).

ويلاحظ بجلاء من الآيات مقدار التشنيع والتقريع والتوبيخ لمن يدعو مع الله غيره ويرجوه، ولمن دعا الله في الضراء والكرب فلما نجاه مما هو فيه إذا به يشرك مع الله غيره، فكيف بمن يدعو غير الله في كلتا الحالتين الضراء والسراء أليس أتعس حالاً.

د- كما بين سبحانه بأنه القادر وحده والمالك وحده والمجيب دعوة المطر

^١ سورة الجن: ٢٢، ٢١.

^٢ ابن كثير، إسماعيل بن كثير القرشي، "تفسير القرآن العظيم"، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم

والحكم، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ٤/٥٥٥.

تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة في تعظيم النبي ﷺ

وكاشف السوء وأن من يضيف هذه الصفات على غيره سبحانه يكون مشركا ويكون قد اتخذ إليها من دون الله يقول سبحانه:

{أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ
أَلِئلهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} (١).

هـ- وأن الله هو الخالق البارئ الذي بيده مقاليد السموات والأرض وأن الأمر كله له

{قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ} (٢) وقال تعالى: {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (٣).

و- وبين ﷺ لأصحابه أنه لا يغيث أحدا وإنما المغيث لكل مستغيث به هو الله وحده لا شريك له، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال:

"كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤدي المؤمنين فقال بعضهم لبعض: قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال النبي ﷺ إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله" (٤).

١ سورة النمل: ٦٢.

٢ سورة آل عمران: ١٥٤.

٣ سورة هود: ١٢٣.

٤ الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، (٣٦٠هـ)، المعجم الكبير،

تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، (الطبعة الأولى، الرياض: دار الصميعي، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

قال أهل العلم:

فمراد الصحابة الاستغاثة به ﷺ فيما يقدر عليه بكف المنافع عن أذاهم بنحو ضربه أو زجره لا للاستغاثة به ﷺ فيما لا يقدر عليه. والظاهر أن مراده ﷺ إرشادهم إلى التأديب مع الله في الألفاظ لأن استغاثتهم به ﷺ من المنافع من الأمور التي يقدر عليها يزجره أو ينهره ونحو ذلك، فظهر أن المراد بذلك الإرشاد إلى حسن اللفظ، والحماية منه لجناب التوحيد، وتعظيم الله تبارك وتعالى.

فإذا كان هذا كلامه ﷺ في الاستغاثة به فيما يقدر عليه فكيف بالاستغاثة به أو بغيره من الأمور المهمة التي لا يقدر عليها إلا الله؟ كما هو جار على السنة كثير من الشعراء وغيرهم؟

ومن هنا يتضح لنا جلياً أن الاستغاثة بغير الله شرك بالله، بل هو أكبر أنواع الشرك لأن الدعاء مخ العبادة^(١) ولأن من خصائص

والهيثمي، عليّ بن أبي بكر الهيثمي، (٨٠٧ هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، (دمشق: دار المأمون للطباعة، بدون سنة). (١٠/١٥٩)، وقال الهيثمي: "ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث".
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهو صالح للاعتضاد، ودلّ على معناه الكتاب والسنة". (الاستغاثة، ص: ١٥٢).

^١ كما قال ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، ثم قرأ {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}. [رواه أبو داود: ح (١٤٨١) والترمذي: ح (٢٩٦٩) وابن ماجه: ح (٣٨٢٨). وقال الترمذي: حديث حسن صحيح].

تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة في تعظيم النبي ﷺ

الألوهية إفراد الله بسؤال ذلك"^(١). اهـ

وهذه البدعة أخذت شكلاً علمياً وعملياً لدى الرافضة والصوفية لكثرة ما كتب فيها من مؤلفات ورسائل التي تبث بالشبهات المضلّة. لكن جوهر الحقيقة هو أنهم يريدون أن يظهروا أمام الناس بمظهر المتمسك بأدلة الشرع، لذا نراهم يحرصون على جلب الأدلة وسوقها حتى يتسنى لهم إثبات مشروعية كل ألوان الشرك كالاستغاثات والتضرع وطلب الحاجات وغير ذلك.

^١ آل الشيخ، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت ٢٣٣هـ)، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، (الطبعة السابعة، بيروت:، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م)، (ص: ٢٠٦).

ج- الخاتمة

الحمد لله بنعته تتم الصالحات لقد تم هذا البحث المتواضع بعون الله تعالى وتوفيقه، مع أنني أعتزف أنه لا يخلو من التقصير الذي هو سمة البشر لأن الكمال لله وحده وأن العصمة لمن عصمه الله من نبي من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام. وفي ختام هذا البحث أسجل خلاصة أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال دراسته للموضوع والكتابة فيه:

- أ- إنَّ العاطفة والمحبة لا يصلحان أن يكونا مصدرًا لتعظيم النبي ﷺ دون الرجوع إلى الكتاب والسنة والالتزام بهما في هذا المجال.
- ب- يجب على كل مسلم اجتناب الغلو والبدع في محبة النبي ﷺ وتعظيمه، ولا يتم ذلك إلا بالاطلاع على أقوال العلماء من خلال مؤلفاتهم.
- ج- إن الله خلق الخلق من أجل عبادته ومعرفته، لا من أجل أحدٍ من مخلوق، سواء كان محمدًا ﷺ أو غيره من الأنبياء والرسل.
- د- وما تدعيه الصوفية من حياة النبي ﷺ ورؤيتهم له يقظة هو محض خرافة، يكذبها العقل والواقع والتاريخ وأن ما بنوه على أساس هذه

الخرافة باطل، وأن هذا من تلاعب الشياطين بهم لأنهم ليسوا على الطريقة الشرعية في عقائدهم وعبادتهم.

ه- إنه سبحانه قد يطلع بعض خلقه على بعض الأمور المغيبة عن طريق الوحي، كما ذكر في القرآن، وهذا من الغيب النسبي الذي غاب علمه عن بعض المخلوقات دون بعض، أما الغيب المطلق فلا يعلمه إلا هو سبحانه، ومن ذا الذي يدعي علمه وقد استأثر الله به.

و- التوسل بذات النبي ﷺ أو بجاهه أو بالإقسام على الله به لما يفضي إليه القول بجوازه من الغلو الذي نهى الله ورسوله عنه، وسدًا لذريعة الشرك المترتب عليه.

ز- إن من الغلو الباطل في حق النبي ﷺ دعاؤه والاستغاثة به من دون الله وذلك كطلب الحاجات منه ﷺ ودعائه لكشف الضر أو رفع الشدة وبث الشكوى إليه، إلى غير ذلك من ألوان الشرك الذي حرمه الله ورسوله. والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الأثر، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد،
(٦٣٠هـ)، *أسد الغابة في معرفة الصحابة*، تحقيق علي محمد معوض -
عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية،
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م،

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، *مجموع فتاوى*، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن
محمد بن قاسم وابنه، المدينة المنورة: طبعة مجمع الملك فهد لطباعة
المصحف الشريف في ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

-----، *قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة*، بتحقيق د/
ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: مكتبة لينة للنشر والتوزيع الطبعة
الأولى ١٤٠٩ هـ

ابن سعد، محمد بن سعد الزهري (١٦٨ - ٢٣٠هـ)، *الطبقات الكبرى*، بيروت:
دار صادر، بدون سنة.

ابن عبد الهادي، محمد بن أحمد (٧٤٤هـ)، *الصارم المنكي في الرد على السبكي*،
مصر: طباعة الإمام.

ابن فرحون، إبراهيم بن علي (ت ٧٩٩هـ—)، *"الديباج المذهب في معرفة أعيان
المذهب*، القاهرة: محمد الأحمد أبو النور، عام ١٣٥١هـ.

ابن كثير، إسماعيل بن كثير القرشي (٧٧٤هـ)، *تفسير القرآن العظيم*، المدينة
المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث (٢٠٢ - ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، للإمام، تحقيق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، الطبعة الأولى، بيروت: نشر دار ابن حزم. والرياض: ودار المغني (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

آل الشيخ، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٣٣هـ)، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، الطبعة السابعة، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، هذه مفاهيمنا، الطبعة الثانية، الرياض: إدارة المساجد والمشاريع الخيرية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن ابن ماجه، الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

-----، صحيح سنن النسائي، الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

-----، صحيح سنن أبي داود، الطبعة الثانية، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

-----، سلسلة الأحاديث الصحيحة، الرياض: مكتبة المعارف، بدون سنة.

-----، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، الطبعة الأولى، الرياض: نشر مكتبة دار المعارف ١٤١٣هـ.

البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)،

تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، القاهرة: المطبعة السلفية (١٤٠٠هـ). والطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

البيهقي، أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ)، *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة*، تحقيق: د. عبد المعطي قلعي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

البوصيري، محمد بن سعيد بن حماد، *ديوان البوصيري*، بتحقيق سيد كيلاني، القاهرة: مطبعة الحلبي، (١٩٩٣م).

الترمذي، محمد بن عيسى (٢٠٩ - ٢٧٩هـ)، *سنن الترمذي (الجامع الصحيح)*، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون سنة.

الدخيل الله، لعلي بن محمد، *التيجانية*، الرياض: الناشر دار طيبة، بدون سنة. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، (٧٤٨هـ)، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الطبعة: الثالثة، بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

الزركلي، خير الدين، *الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)*، الطبعة الخامسة، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م.

الشيباني، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، *المسند*، المحقق: الشيخ شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

الشنقيطي، لمحمد أحمد عبد القادر المدني، تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق، الطبعة الثانية، المدينة: مطابع الجامعة الإسلامية، بدون سنة.

الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ،

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، (٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الأولى، الرياض: دار الصميعة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر الشافعي (ت ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

الفاسي، علي حرازم بن العربي، جواهر المعاني وبلوغ الأمان، بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

القرطبي، أحمد بن عمر (٦٥٦هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق محيي الدين ديب مستو، يوسف علي بديوي وغيرهما، الطبعة الثالثة، دمشق: طباعة دار ابن كثير، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

القزويني، محمد بن يزيد (ت ٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجه، ومعه حاشية السندي ومصباح الزجاجة للإمام البصري، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيجا، الطبعة الأولى بيروت: دار المعرفة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

المقري، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ)، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: بدون طباعة، ١٩٦٨م.

النسائي، أحمد بن شعيب (٢١٥ - ٣٠٣هـ)، سنن النسائي (المجتبى من السنن)، ومعه شرح السيوطي وحاشية السندي، تحقيق: مكتب التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت: دار المعرفة، بدون سنة.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري (٢٠٦ - ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون سنة.

النهماني، يوسف بن إسماعيل، الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون سنة.

النهماني، النهماني الصوفي، شواهد الحق، الطبعة الثانية، مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، سنة ١٣٨٥هـ.

الواقدي، "الإمام الواقدي ٢٠٧هـ، المغازي، تحقيق د. مارسدن جونس، الطبعة الثالثة، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

الهندي، بكر محمد زكريا الهندي، الشرك بين القديم والحديث، الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة في تعظيم النبي ﷺ

الهيثمي، عليّ بن أبي بكر الهيثمي، (٨٠٧ هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، دمشق: دار المأمون للتراث، بدون سنة.

رضا، محمد رشيد، فتاوى، جمع وتحقيق د. صلاح الدين المنجد، الطبعة الأولى، بدون مدينة: دار الكتاب الجديد، ١٣٩٠ م.

صادق، صادق سليم، المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة الرشد، ١٣١٥ هـ/١٩٩٤ م.

عبد العزيز بن باز، "فتاوى نور على الدرب"، ط/ الأولى، الرياض: رئاسة إدار البحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية، ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠ م.

لوح، محمد أحمد، تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، الطبعة الأولى، الرياض: دار الهجرة، ١٤١٦ هـ/١٩٩٦ م.